الجانب العاطفي

وأثره في استقرار الأسرة

د. أحمد ربيع يوسف

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية

جامعة قطر

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد:

تمتلئ أروقة المحاكم في كثير من بلداننا الإسلامية بقضايا الخلافات الزوجية ، ووصلت نسب الطلاق إلى أرقام لم تكن موجودة من قبل، وتختلف نظرة الباحثين عن الأسباب والدوافع، ولكل وجهة نظره، فالبعض يرى أن السبب يتمثل في اختلاف الثقافة بين الزوجين ، وبعض آخر يرى أن السبب يعود إلى تقصير أحد الزوجين في حق الفراش، وفي تركيا يقولون إن شخير أحد الزوجين أثناء النوم هو السبب في الخلافات .. إلى غير ذلك من أسباب متعددة.

أقول : قد تكون بعض هذه الأسباب والدوافع سبباً للشقاق، ولكن هذه الأسباب كانت موجودة في كل العصور، ومع ذلك فإن نسبة الشقاق لم تكن مرتفعة كما نلاحظها اليوم، وهذا ما يدعونا إلى دراسة تلك المشكلة.

وأرى : أن السبب يتمثل في جفاف المشاعر وبرود العاطفة وذبول الحب الذي كان بين الزوجين فالأسرة المعاصرة تعيش في بحبوحة من العيش تمتلك من متع الدنيا ما لم يتملكه الآباء والأجداد، لكنها تفتقر إلى السعادة لأن المشاعر قد جفت وأصبحت هشيماً، وأضحت العلاقة بين أفرادها علاقة هشة جامدة لا روح فيها، وبالتالي فهي معرضة للتصدع والسقوط والانهيار، حيث أصبح كل طرف يعرف حقوقه وينسى واجباته،

يعـمل لنفسـه دون نظر للشريـك الآخر، وقـد يهتم بكل شيء إلا قـرينه، فالزوج غـائب مع أصدقـائه قد يمتـد به السهـر والسمـر معهـم ، والزوجة غائبة مع صديقـاتها بالمجالسة معهن، أو التحـدث بالهاتف لساعات طوال حتى حق الفراش قد يؤديه أحدهم بأنانيـة لإشباع شهوته دون نظر للطرف الآخر.

ونظراً لأهمية هذا الموضـوع الذي بات يشكل تهديداً كبيراً لاسـتقرار كثير من الأسر المسلمة ، فـقد رأيت دراسة هذا الموضوع ، والوقوف على عناصره ، لعلي أسهم في وضع علاج قد تكون كثير من البيوت في حاجة إليه.

وسوف أتناول هذا الموضوع من خلال التركيز على المحاور الآتية:

المحور الأول : أهمية العواطف في الحياة الزوجية.

المحور الثاني : أسباب جفاف العواطف.

المحور الثالث: آثار جفاف العواطف.

المحور الرابع : وسائل دفء المشاعر والعواطف.

المحور الأول

أهمية المشاعر في الحياة الزوجية

الحياة الزوجية آية من آيات وحدانية الله وعظمة سلطانه، يقول الله تعالى: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1]، الأصل أن تقوم الأسرة على المودة ، أي: الحب ، ومع الحب يكون الإيثار ، ومع الإيثار يعطي كل من الزوجين صاحبه أكثر من حقه عليه، وينقطع البحث في الحقوق، أما إذا فتر الحب ، فلابد من الأصل الثاني الذي تقوم عليه الأسرة وهو الرحمة، وهنا يتأكد البحث في الحقوق حتى لا تضيع، على أنه كان يقع أحياناً أن يفتر الحب أو يزول تماماً، وتبقى الرحمة وحدها فتدفع كلا من الزوجين إلى الرفق بصاحبه، فإنه كثيراً ما تجتمع المودة مع الرحمة، فتدفع المودة إلى مزيد من الرحمة، والعطف حتى يبلغ التعاطف والبذل أقصى المدى.[2]

والناس يعرفون مشاعرهم تجاه النوع الآخر وتشغلهم هذه المعرفة إلى نشاط مختلف الأنماط والاتجاهات، وتأتي هذه الآية في إيقاعها الرفيق اللطيف الموحي لتلتقط هذه الصورة معرفة مشاعر الناس تجاه الجنس الآخر من أعماق القلب وغور الحس وتبرزها في صورة﴿لتسكنوا إليها﴾ لا لشيء آخر وهو سكن مطمئن عفيف هادئ ممتلئ بعناصر البهجة والسعادة[3] ، إنه حب مبني على اللطف والرفق ، قد استقر في أعماق

---

(١) سورة الروم : الآية (٢١)

(٢) د. أكرم رضا مرسي، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، ص١٣١.

(٣) د. رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ، ص١٤٧.

القلب وأغوار الحس ﴿لتسكنوا إليها﴾ ووقع في النفس والعقل والجسد ، فيجد كل من الزوجين عند الآخر الراحة والطمأنينة والاستقرار، ويستمر هذا الحب بينهما وكأنه نبع فياض، يزيد ولا ينقص ، لأنه حب حقيقي نبت على الصدق والعفة، وقد وطد النبي صلى الله عليه وسلم علاقة هذا الحب بين الزوجين، وأوضح السبل لاستمراره بقوله:(فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . . .)[1] ، إنها وصية لاستمرار المودة والرحمة بينهما، وقد بين رسول الهدى: أن خير الرجال من أمته ذلك الذي يحب أهله ، فيقول:(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[2]. فما هو خير الزوج لزوجته؟ هل الخير بتقديم كل ما يتطلبه بيت الزوجية من حاجات فقط؟ لا بل هناك الذي يبنى عليه كل خير ، إنه الحب والعطف والحنان ، والمحبة والاطمئنان. وقد لاحظ المصطفى عليه الصلاة والسلام أن هناك بعض المنغصات ربما تحدث بين الزوجين، فنبه على ذلك ليسد باب البغض فقال: فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر، أو قال غيره)[3] فلا وجود للبغض ، بل حب وتسامح من قِبل الزوجين ، ولا داعي لوجود المنغصات ، فإن وجد شيء منها فلابد من إزالته، وذلك بالرجوع إلى العهد الذي بينهما: عهد المودة والرحمة ، عهد المحبة والاستقرار ، فالمشاحنات اليومية ، والخلافات المستمرة لا وجود لها بين زوجين أحبا بعضهما حباً خالصاً لا تشوبه شائبة ، ولقد استنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحدث من بعض الرجال من إيذاء زوجاتهم ثم يريدونهن أن يمتثلن لشهواتهم، فقال:(لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها

---

(١) صحيح مسلم ،كتاب الحج ، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) رواه الترمذي ، وقال هذا حديث حسن غريب صحيح ، كتاب المناقب عن رسول الله، باب فضل أزواج النبي.

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

في آخر اليوم)[1].

إن النبي -صلى الله عليه وسلم- ينكر هذا العمل، الذي يميل إلى الحيوانية، لا إنساناً محباً يشعر بالمودة والرحمة، والزوجة ... تلك الإنسانة الوديعة التي لا تستطيع أن تدافع عن نفسها بقوة الجسد، بل لها قلب ينبض بالحنان، وروح تسمو إلى الرأفة والألفة، فماذا تفعل إن حدث هذا معها؟! إنها ستشعر بفقد حبها وكرامتها ومكانتها عند زوجها، وإن فقدت ذلك، تاهت مع التائهات، ومن توطيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الحب بين الزوجين قوله: (فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك)[2] فاستمرار المداعبة، دليل على استمرار الحب، ورسوخ الرحمة في قلبيهما، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الزوج الذي لا يداعب زوجته بالجفاء فقال: (ثلاثة من الجفاء .. -ومنها- أن يجامع الرجل زوجته ولا يقبلها) (رواه الديلمي) حقاً إنه جفاء يعبر عن الحالة التي يعيشها الزوجان من جفاف المشاعر، ولولا إلحاح الشهوة ما اقترب منها.

وهكذا وضع الإسلام ركائز عظيمة ليبنى عليها الحب الصادق، وليبقى الزوجان في سعادة دائمة، واطمئنان نفسي مستمر[3]، والحب الذي نقصده هنا ليس مجرد نزوة عابرة سرعان ما تخبو، بل هو شعور راسخ عميق الجذور، طويل العمر، وهو فضل من الله ونعمة، والعاطفة عند علماء النفس: من طبيعتها الهدوء والاستقرار والاستمرار وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم- حيث يقول عن خديجة: (إني قد رزقت حبها)[4] على أنه قد يبدأ الزواج بحياد عاطفي، لكن سرعان ما تنمو مشاعر الحب بين الزوجين نتيجة العشرة الطيبة وأخلاق الوفاء

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء.

(٢) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب طلب الولد.

(٣) الحب بين الزوجين، الشبكة الإسلامية، ٢٣/١/٢٠٠٢م.

(٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب «فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها».

والعطاء ، وعندها ينعم الزوجان بحياة طيبة هنيئة.[1]

والمشاعر الفياضة والأحاسيس المرهفة بين الزوجين تقضي على كثير من العقبات والمشاكل التي قد تتعرض لها الأسرة فالحب يجعل التسامح سمة من سمات الأسرة والوفاء شيمة فيها، ومهما هبت رياح ضرر من أمراض وفقر وغيرها تظل الأسرة متماسكة لا يحدث الفراق ، يتحملان المصاعب والآلام، ويتقاسمان الحياة في مرها كما تقاسماها في حلوها.

(١) د. عبد الحليم أبوشقة، الحب بين الزوجين، الشبكة الإسلامية ، ٢٣/١/٢٠٠٢م.

المحور الثاني

أسباب جفاف العواطف

من الأسباب التي تؤدي إلى جفاف العواطف من الحياة الزوجية مايأتي:

أولاً : عدم الاختيار الأمثل:

حسن اختيار الزوج لزوجته، واختيار الزوجة لزوجها هو أحد المقومات الرئيسية لبناء أسرة ناجحة، وإذا كان الإنسان يدقق في اختيار حاجياته من مأكل ومشرب ومسكن ، فإن اختيار شريك الحياة يكون من باب أولى ، وذلك لأن الحاجيات الأخرى ليست لها صفة الدوام والاستمرار ، مثل شريك الزواج والأسرة السعيدة هي التي تقوم على اختيار سليم للزوجين؛ لأن اختيار شريك الحياة هو الأساس الأول في عملية الزواج فنجاح الزواج يعتمد على الاختيار الموفَّق ، فكثير من حالات فشل الزواج ترجع إلى الاختيار غير الموفق لشريك الحياة [1]، الذي بني على أساس ومعايير غير صحيحة.

ولذا أمرنا الشرع الحنيف بحسن الاختيار وحسن الانتقاء هيئة وخلقاً، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- (تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم)[2] وقد حدد خبراء الاجتماع العوامل التي تؤدي إلى الصمت الزواجي، الذي يؤدي شيئاً فشيئاً إلى الطلاق العاطفي وبرود المشاعر بين الأزواج في جملة من العوامل، جاء على رأسها عملية

---

(١) د. فاطمة عبدالستار، الشبكة الإسلامية ، الأسرة السعيدة ، ٣/ ٤/ ٢٠٠١م.

(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب الأكفاء ، حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم ١٠٦٧.

الاختيار التي قد تكون غير موفقة أو تمت بطريقة سريعة، وبالتالي لم يفهم كل من الطرفين الطرف الآخر جيداً ، وبعد أن يتم الزواج يحدث الهرب كوسيلة للتخلص من الزواج[1].

ومن العوامل التي تؤدي إلى سوء الاختيار مايأتي:

١ - اختيار المصالح :

أوضح النبي-صلى الله عليه وسلم- المرغبات التي ترغب الإنسان في الزواج وحثنا على الاختيار الأمثل فقال:(تنكح المرأة لأربع لمالها، وجمالها، وحسبها، ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)[2] ، فالحديث يدل على أن المرغبات التي ترغب الإنسان في الزواج إما أن تكون المال، أو الجمال، أو الحسب ، أو الدين وسائر المرغبات تندرج تحت هذه المرغبات الأربع، فقد يكون دافع الرجل للزواج من امرأة هو مالها فقط دون اعتبار لأي أمر آخر، والمال يسيل له لعاب كثير من الناس، فيطمع الرجل أن يصيب المال من امرأته إذا كانت ثرية ، أو يطمع أن يعود إليه مال ولو بعد حين كأن تكون الزوجة من أسرة ثرية سترث مالاً من أهلها لا يعلم وقته إلا الله، أو تكون الزوجة ذات وظيفة تدر عليها راتباً يطمع الزواج في الاستحواذ عليه.

وإذا كان هذا السبب هو المرغب الأول للاختيار فهو اختيار مصلحة لن يتحقق معه الاستقرار والود لنشوب المنازعات بين الطرفين بسبب المال، وقد تفقد المرأة ما جعل الرجل يرغب في نكاحها منها كأن تضيع أموالها أو تكسد تجارتها، أو لا تحصل على شيء من أموال أهلها لحرمانها من الميراث ظلماً وعدواناً أو لاستئثار الذكور به - وهو يحدث كثيراً- كل هذه الأمور تجعل الزوج يعيد حساباته ويراجع آماله فيجد نفسه لم يحصل على

---

(١) خالد أبوبكر: حديث عن الصمت الزواجي ، إسلام أون لاين ، حواء وآدم ١١/ ٢/ ٢٠٠٢م.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين.

المقصود وبالتالي تتغير علاقته بزوجته فيظهر الكره والبغض وبالتالي تتبدل علائق الحب التي كان يديها أو يتصنعها إلى علاقات كره ونفور فتجف المشاعر وتموت العواطف.

وقد يكون دافع الرجل للزواج هو جاذبيتها من ناحية الجمال دون اعتبار للخلق والدين ، فإن هذا الدافع معرض للزوال، إذا ذبلت زهرة الجمال نتيجة للإنجاب المتكرر ، أو لكبر السن ، أو لوقوع العين على من هي أجمل منها - والممنوع مرغوب- حينئذ تتغير قيمة المرأة فيقل الإعجاب، أو يتلاشى، وبالتالي تجف المشاعر.

ورغبة الرجل في الزواج من امرأة لجمالها فقط قد يؤدي به إلى المهالك فقد يوقعه في الشك والغيرة من كل نظرة لها، وقد تتعالى عليه بجمالها، وهذا ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله: (لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ولا تزوجهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجهن على الدين ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل)[1]

وقد يكون الدافع للزواج هو الحسب فقط ، وهو دافع له أهميته لنجابة الأولاد ، غير أنه لا ينبغي أن يكون هو الدافع الأول والأوحد في الزواج وخصوصاً إذا كان الرجل يقصد من زواج ذات الحسب رفع خسيسته ، وهذا يؤدي إلى احتقاره بين الناس فينسب إليها ولا تنسب إليه، وهذا يدفعه إلى الشعور بالنقص فيتبدل الحب إلى بغض وبالتالي تجف المشاعر.

أما الدين فهو الدافع الذي ينبغي أن يراعى، ولذا قال -صلى الله عليه وسلم-: (فاظفر بذات الدين تربت يداك) أي: نلت الخير كله ، أو التصقت يداك بالتراب إن لم تفعل ذلك.

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة رقم ١٠٦٠.

٢ - تزوير المشاعر

للمشاعر أهميتها في إقامة الأسرة السعيدة التي ترفرف عليها المودة والرحمة ، ولذلك ينبغي أن تلاحظ من بداية الزواج فتتوافر حرية الاختيار من أول مراحل الزواج والإسلام يحث على هذا ويدعو إليه، فقد جاء أناس إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقالوا في حجرنا يتيمة تقدم لها موسر ومعسر، وهي تهوى المعسر، فقال -صلى الله عليه وسلم- :(لم ير للمتحابين مثل النكاح)[١] .

وبهذا يتبين أن الإسلام ينظر إلى المشاعر نظرة احترام وتقدير فينبغي مراعاتها في الزواج فلا يحق لأهل الشاب أن يوهموه أنهم أعرف منه بمصلحته لأنه ما زال صغيراً ليست له خبرة بالناس وبالتالي فهم الذين يختارون له دون اعتبار لمشاعره وأحاسيسه فيرفضون من هوتها نفسه دون سبب معقول ويتدخل أهل الفتاة في إجبارها على الزواج بمن لا ترغبه ، وقد لا يؤخذ لها رأي في زواجها مع أن الإسلام يجعلها هي صاحبة الأمر ففي الحديث(لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن ، قالوا: يارسول الله وكيف إذنها. قال أن تسكت)[٢] ، وأيضاً ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن فتاة دخلت عليها فقالت إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، وأنا كارهة ، قالت اجسلي حتى يأتي النبي - صلى الله عليه وسلم- فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبرته فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها فقالت: يارسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم النساء من الأمر شيء[٣] ، وعند ابن ماجة من حديث بريدة قالت قد أجزت ما صنع أبي ولكن أردت أن تعلم

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في فضل النكاح.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها.

(٣) سنن النسائي، كتاب النكاح ، البكر يزوجها وليها وهي كارهة ، ذكره الألباني في ضعيف ابن ماجة ، رقم ١٨٧٤.

النساء أنه ليس إلى الأباء من الأمر شيء[1].

ومن هذه النصوص نعلم أن مشاعر الفتاة أمر مهم في اختيار شريك حياتها، وأن الإسلام يرفض إجبارها على الزواج من رجل لا تطيقه، أو لا يعجبها، وقد قال عمر رضي الله عنه: يعمد أحدكم إلى ابنته فيزوجها القبيح الذميم إنهن يردن ما تريدون[2] كما يرفض الإسلام عضل المرأة بمنعها من الزواج ممن ترتضيه خاصة إذا كان كفئاً لها ، يقول الله سبحانه: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾[3] كما ينبغي عدم حجرها على ابن العم كما يحدث في بعض البلدان، وإذا حدث إجبار من الأهل لأحد الزوجين فلن يحمل المكره شعوراً بالحب نحو شيء أجبر عليه.

٣ - عدم السماح برؤية المخطوبة

مع أن الإسلام الحنيف قد أمر برؤية الخاطب للمخطوبة ورؤيتها له إلا أن بعض المجتمعات تمنع ذلك لأعراف وتقاليد درجوا عليها ، ومع مخالفة العرف في هذا الأمر للشرع إلا أن البعض مازال يتمسك بالعرف.

ومما يدل على الأمر برؤية المخطوبة ما جاء في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: خطبت امرأة من الأنصار، فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم- أنظرت إليها؟ فقلت: لا. فقال: انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما[4] ، ورؤية أحدهما للآخر يتوقف عليها القبول وعدمه، وهو ما يجعل المشاعر متدفقة ، والأحاسيس ملتهبة ، وعدم

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب من زوج ابنته وهي كارهة ، قال البوصيري إسناده صحيح ورجاله ثقات، مصباح الزجاجة (٢/ ٧٩).

(٢) سنن الترمذي ، كتاب النكاح، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٦.

(٣) سورة البقرة : الآية(٢٣٢)

(٤) سنن النسائي ، كتاب النكاح ، ورواه الترمذي ، وقال حديث حسن ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة.

الرؤية قد يؤدي إلى النفور وهو ما يعرض الحياة الزوجية للدمار، ففي الحديث يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- (الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)[1] فلو كان الزوجان من النوع المتنافر روحياً فلن تكون في حياتهما مشاعر وعواطف تربط بينهما؛ قال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر فآخره هم وغم[2].

ثانياً: الإهمال

مما يؤدي إلى جفاف المشاعر إهمال أحد الزوجين للآخر، وعدم اعتنائه به، وهذا يتضح من خلال مايأتي:

(أ) إهمال الزوج لزوجته

قد يهمل الرجل زوجته، لإنشغاله بجمع المال ظناً منه أن هذه هي مهمته تجاه زوجته وأولاده، أو للهوه مع أقرانه وأصدقائه، أو لأسفاره المتكررة للنزهة والشعور بالحرية، فلا تجد الزوجة من يؤنسها ويشاركها في تحمل أعبائها وبالتالي يموت الحب وتجف المشاعر.

(ب) إهمال الزوجة لنفسها ولزوجها

قد تهمل المرأة في حق نفسها مع أن الدين يأمر الإنسان برعاية حق نفسه (إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه)[3]، وكثير من النساء تظن أن مهمتها تنحصر في القيام بالواجبات المنزلية من طبخ وغيره.. وتهمل نفسها وزينتها وهذا ما يجعل الرجل ينفر منها.

ثالثاً: الأنانية:

ينبغي أن يكون الزوج والزوجة نسيجاً واحداً وروحاً واحدة كل

---

(١) صحيح البخاري، أحاديث الأنبياء، الأرواح جنود مجندة.

(٢) إحياء علوم الدين (٢/٣٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف.

منهما يتفانى في تقديم السعادة للطرف الآخر ، ولكن روح الأنانية قد تسري فلا يهتم الشريك بشريكه بل كل ما يشغله هو ما يحققه من مكاسب جسدية ومادية حتى حقوق المعاشرة قد يهتم الزوج بنفسه فإذا انتهت متعته انتفض من مكانه دون انتظار للزوجة أن تصل إلى متعتها وهذا يسبب حرجاً وضيقاً للمرأة قد يمنعها حياؤها من البوح به ولكنه يؤثر سلباً على مشاعرها تجاه زوجها.

رابعاً : سوء التربية :

وأقصد بسوء التربية ترسب بعض المفاهيم الخاطئة لدى كثير من الناس، ومن ذلك:

١ - ترسب عند كثير من الناس أن القوامة ما هي إلا التسلط والتحكم فكل شيء بيد الرجل ، وما على المرأة إلا السمع والطاعة ، فلا رأي لها ولا مشورة والرجل هو السيد المطاع وكلامه لا يقبل المناقشة.

تقول الدكتورة أمينة الجابر: إن عدم فهم الزوج لدرجة القوامة يجعله يقصر في واجباته نحو زوجته وأولاده، وقد يعتقد بمقتضى هذه القوامة أن له الحرية المطلقة في أن يفعل ما يشاء دون أن يراجعه أحد من أفراد أسرته، وهذا السلوك من الزوج يرتد على الأسرة بالاضطراب وفتور العلاقة الزوجية، وقد يصل الأمر إلى الشك الذي يدمر هذه العلاقة[1].

٢ - يفهم البعض أن المسئولية تعني المسئولية المادية فحسب فكل ما على الرجل هو توفير سبل المعيشة للبيت ، أما مسألة المشاعر والأحاسيس ورعاية الزوجة عاطفياً فهذا ليس بمهم ، وذلك خطأ كبير وفهم خاطئ فكم من رجل شغل بتجارته وأعماله ليوفر قدراً أكبر من الحياة المادية لأسرته فلم يكن يعني عند أسرته إلا مجرد مشروع يدر عليهم الأموال وقد تكسد التجارة فلا تنال الزوجة شيئاً لا مالاً ولا عاطفة.

---

(١) د. أمينة الجابر وآخرون: التفكك الأسري والأسباب والحلول المقترحة، ص٦١.

خامساً : كفران العشير :

يوجد صنف من الناس لا يرضى عن شيء فلا يرضى عن ربه، ولذا فهو يعترض على قضائه ويتشقق قلبه حسداً وحقداً لنعمة حلت بأحد غيره، وتلك صفات لا تليق بمؤمن، لأن الله سبحانه جعل من لوازم الإيمان الرضا عن الله ﴿إن الذين آمنوا وعلموا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه﴾[1].

وبيت الزوجية بيت لا ينسى فيه المعروف حتى في وقت الخلاف﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾[2] ، وحفظ الجميل ينبغي أن يراعي احتراماً للعشرة، ولذا جاء الهدي النبوي ينهى عن كفران العشير فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:(رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: لم يارسول الله. قال: لكفرهن. قيل: أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط)[3] ، وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: (مر بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن في نسوة من النساء فسلم علينا، وقال: إياكن وكفر المنعمين، فقلنا: يارسول الله وما كفر المنعمين؟! لعل إحداكن تطول أيمتها، بين أبويها وتعنس فيرزقها الله زوجاً ويرزقها منه مالاً وولداً فتغضب الغضبة فتقول ما رأيت منه يوم خير قط وقال مرة خيراً قط)[4].

ونكران الجميل يؤدي إلى الجفاء فيجف نبع المشاعر الصافي ويتعكر ماء الحياة ويتبلد الحس بالجفاء.

---

(١) سورة البينة : الآية (٧ ، ٨)

(٢) سورة البقرة: الآية (٢٣٧)

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب كفران العشير.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم (٤٧٩)

سادساً : عدم المشاركة الوجدانية :

مما يؤدي إلى نضوب معين الحب بين الزوجين عدم مشاركة أحدهما الآخر في وجدانه من فرح وحزن، ومن وصية أمامة بنت الحارث لابنتها عند زواجها اتقي يابنية الفرح لديه إن كان ترحاً والاكتئاب إذا كان فرحاً فإن الخصلة الأولى من التقصير ،والثانية من التكدير وكوني أشد ما يكون لك إكراماً أشد ما تكونين له إعظاماًوأشد ما تكونين له موافقة أطول ما تكونين له مرافقة ، واعلمي يابنية إنك لن تصلي إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك[1] وأوصى رجل زوجته قائلاً لها:

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في ثورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدف مرة فإنك لا تدرين كيف المغيب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ويأباك قلبي والقلوب تقلب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى إذا اجتمعا لم يلبث الحب أن يذهب[2]

ولذا فلا بد من المشاركة الوجدانية بين الزوجين حتى لا تذبل الزهور وتتحول جنة الزوجية إلى أطلال.

---

(١) راجع وصية أمامة في العقد الفريد(٦/ ٨٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٥٦)

المحور الثالث

آثار جفاف العواطف

العلاقة الزوجية إذا كانت قائمة على الحب والود، فإن دفء المشاعر يرفرف عليها فيحي القلوب وينير الأبصار ويجنب البيوت شبح الدمار والتفكك لأن كل طرف يغضي عن هفوات الطرف الآخر يغمض عينه عن رؤية هفواته ويصم الأذن عن تتبع عثراته، وهذا ما يفهم من قول النبي - صلى الله عليه وسلم- (حبك الشيء يعمي ويصم) [1] وأما إذا جفت المشاعر انقلبت الحياة رأساً على عقب تضخم فيها الصغائر وتؤول فيها المحاسن وتصير البيوت كهوفاً خربة على أهلها ويتبدل الحب كرهاً والمودة بغضاً والرحمة عذاباً.

وجفاف المشاعر له آثار وخيمة على الأسرة ومن ذلك مايأتي:

(١) : الملل:

يدب الملل في حياة الأسرة حينما تفتقد الجديد ، وينشغل الزوج بأحواله وظروف عمله أو مشاكله ، وتنشغل الزوجة عن الاهتمام بزوجها إلى رعاية أبنائها، والملل هو أحد المشاكل التي تواجه الأسرة وتسبب متاعب وأزمات ، فتشكو الزوجة من عدم اهتمام زوجها بها وإعراضه عنها، ومعاملتها بقسوة وجفاء وعدم تقدير، الشكوى نفسها يرددها الزوج: زوجتي لم تعد تطيقني، ولم تعد تحبني، تضايقني كثيراً بتصرفاتها، وتهمل رعايتي ، وتتعلل بالأولاد ، أو بأننا كبرنا ولا ينبغي أن نتصرف مثل الشباب المراهق إن فتور العلاقة الزوجية ينعكس على كل

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب ، باب في الهوى ضعفه السخاوي في المقاصد الحسنة، ص١٨١

أحوال البيت ، فلا ترتاح الزوجة ولا الزوج ، ويعيش الأبناء في قلق وتوتر . . الصوت مرتفع لأتفه الأسباب والمشاكل البسيطة تتعمق ، ويكبر سوء الظن وتأويل الكلام على الوجه السيئ إضافة إلى تصرفات وسلوكيات أخرى لا ترضي أحداً [1] .

(٢) : النفور:

الحياة الأسرية سكن للروح، وسكن للفكر ، وسكن للجسد، والسكن هو نعمة الله الكبرى على الإنسان، وقد وصف الله الحياة الزوجية بأنها سكن وبأنها لباس، وتبقى قيمة السكن وقيمة اللباس موقرة مبجلة ما بقي أثرها محموداً مؤنساً، أما إذا نقصت قيمة السكن وقيمة اللباس وعجزت هذه القيمة عن إعطاء الروح والفكر والمشاعر والجسد مباهجه، ولم يمكن التغلب على أسباب هذا القصور فسوف يحدث النفور في الحياة الزوجية وتتبدل الحياة الأسرية من الأشواق إلى النفور فتفقد الحياة قيمتها عند كل من الزوجين.

(٣) : الحقد والكراهية:

إذا جفت المشاعر بين الزوجين هبت رياح حقد وكراهية فتثير في أرجاء البيت عواصف وزوابع ، وقد تظلل سماء البيت سحابة قاتمة سوداء تعكر الصفو وتنذر بالقطيعة والتفرق، وقد تمر فترات تنقلب خلالها القلوب فتنقلب آيات المحبة والرحمة إلى بغض ونفور، وتضيق نفس الزوج، أو الزوجة بالمنزل، ومن فيه وما فيه، وإن لم يثبت البنيان العائلي أمام ما اعتراه من هذه الطوارئ والمفاجآت تركت أخاديد عميقة في بنائه وإن لم تكن الحياة الزوجية وقت ذاك مدعمة بحسن العشرة[2] .

(٤) : التفكك الأسري:

---

(١) الزوجة مسؤولة عن فتور العلاقة الزوجية ، الشبكة الإسلامية ، ٢٥/١/٢٠٠٢م

(٢) د. محمود بن الشريف، الحب في القرآن ، الشبكة الإسلامية.

إذا جفت المشاعر ، فإن الحياة الأسرية بين الزوجين يسودها القلق، وعدم الاحترام (المتبادل)، وكذلك عدم صيانة الأسرار الزوجية، وذلك لانهيار القيم الأخلاقية، وعدم إدراك الرجل والمرأة أن الحياة الزوجية شركة اجتماعية رأس مالها السكينة والود والألفة والرحمة والرعاية ، وليست ميداناً للمبارزة والعناد والسيطرة والتحكم، وقد يمثل التفكك بين الزوجين مظهراً سلبياً يعبر عنه بامتناع كل منهما عن الحياة الزوجية الطبيعية فهما متخاصمان لا يكلم أحدهما الآخر ، أو أن الزوج يهجر فراش زوجته فلا يعاشرها بالمعروف وإن كانا أمام الناس غير ذلك ، وهذا الامتناع هو ما يعرف بالهجر، أو الطلاق الصامت، أو فقدان لغة الحوار ، وقد يتجاوز الأمر حدود السلبية ويتحول التفكك إلى عنف قد يصدر من الرجل ضد المرأة، أو العكس وليس العنف إلا ردة فعل لتصرفات الآخرين فالرجل الذي يمارس العنف مع زوجته يثير لديها غريزة العنف[1] .

(١) د. أمينة الجابر وآخرون، التفكك الأسري الأسباب والحلول المقترحة ، ص٦٨ ، ٦٩ .

المحور الرابع

وسائل دفء المشاعر العواطف

الحياة الأسرية خليط من الود والحنان لأن كلا من الرجل والمرأة يريد أن يحيط كل منهما الآخر بعنايته وأن يسبغ عليه عطفه وحنانه من جهته كما أن كلاً منهما يريد أن يركن إلى الآخر ويتلقى منه العطف والرعاية كأنه مجرد طفل وحاجته إلى رعاية الآخرين كأنما هو أب مسئول.

إن الشعور بالانتماء إلى الكيان الأسري من المفاهيم الأساسية في العلاقات الزوجية فالزواج ليس علاقة رسمية فقط تمت بموجب عقد الزواج أو مجرد علاقة جسدية أباحها العقد ذاته ، أو هو مجرد معيشة فردين معاً ألزمها عقد الزواج ، إن الزواج أسمى من ذلك بكثير إنه يعني أن هناك شخصين قد ارتضيا أن يكملا مسيرة حياتهما معاً يتقاسمان مرها قبل حلوها وكل منهما يشعر بالآم الآخر ، وكأنها آلامه ويرقص قلبه فرحاً بأفراح شريكه وكل نجاح، أو تحقيق هدف يسجل لصالح الكيان الأسري، وليس لصالح فرد معين[1] . ولدفء المشاعر ينبغي أن يقوم كل من الزوج والزوجة بواجبه نحو الطرف الآخر.

وقد شرع الإسلام حقوقاً لكل منهما على الآخر، فما من حق إلا ويقابله واجب ، وهكذا يزاوج الإسلام بين الحقوق والواجبات كأنما يهندس طريق الزوجية بصفين متوازيين من الرياحين والزهور من أجل ربيع دائم لمعاشرة طيبة بالمعروف والإحسان والمودة والرحمة حتى تحيا الأسرة في تناغم مرهف ترتشفه الأعصاب حناناً ممشوجاً برضوان من الله وتحيتهم

---

(١) راجع التفكك الأسري : الأسباب والحلول المقترحة ، ١١٤ ، ١١٢.

فيها سلام[1] . . وهذه الحقوق تتمثل فيمايأتي:

أولاً : واجب الزوج

تحت سماء بيت الزوجية يفتح الحب والعطف ورد الربيع الذي تحيا بين رياضة سنوات العمر للزوج والزوجة وترسم ريشة التشريع الإسلامي اللوحة الموحية بالسعادة تختلط فيها ألوان الواجب بالحقوق فلا تكاد تسمع إلا حفيف الزهور وتمايلها نسمات الود الصادق والحب النقي والألفة الناعسة على وسادة الأمل الباسم في بيت بناه الله سكناً ورحمة لكلا الزوجين وأولادهم أجمعين.[2] ومن أول حقوق الزوجة على زوجها: أن ينظر إليها على أنها سكن له تركن إليها نفسه ، وتكمل في جوارها طمأنينة ، وترتبط بالحياة الكريمة معها سعادته ، أو شقاوته ، فهي ليست أداة للزينة ولا مطيَّة للشهوة ولا غرضاً للنسل ، فحسب بل إنها تكملة روحية للزوج ، يكون بدونها عارياً من الفضائل النفسية ، فقيراً من بواعث الاستقرار والطمأنينة ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم حين يقول تعالى :﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[3] فأساس كل حق للزوجة على زوجها أن يعاملها على أنها سكنُه الروحي والنفسي، وعلى أنه قد ارتبط معها برباط عميق من المودة والرحمة هو أوثق من رابطة العقد القانوني ، الذي يلزمه نحوها بواجبات مالية أو حقوق مادية. وحين ينظر الزوج إلى زوجته بهذا المنظار الجميل يزول من طريق الحياة الزوجية كل ما يشوبها من أشواك وعثرات، ويكون الافتراق فيها، عن طريق الطلاق أو الهجر، انتزاعاً للحياة من جسمي الزوج والزوجة على السواء. في الحياة الزوجية التي لا يغيب فيها عن الزوج -أبداً- حاجته الروحية والنفسية والقلبية إلى زوجة لا يقع الطلاق، وإن أبيح ، ولا يحصل

(١) د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، ص١٨٩.

(٢) المرجع نفسه ، ص١٨٠.

(٣) سورة الروم ، الآية (٢٥)

التعدد ، إن شرع، ولا يقف الزوجان أمام القضاء، وإن اختلفا في البيت، ولا يبغي أحدهما على الآخر في حقه ما دام هذا المعنى أساس الحقوق الزوجية كلها[1] ، إن الحق الأساسي للزوجة، هو تلك المعاشرة الحسنة من قبل الزوج ، ويتضح هذا من خلال قول الله تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾[2] فالمعاشرة الحسنة هي أساس اطمئنان النفس، وركن من أركان الحب الذي يظهره الزوج لزوجته، فمهما قدم لها من حقوق، وكان فظاً معها في معاملته فسيبقى الاطمئنان والارتياح النفسي مفقوداً بينهما، ويدلنا على هذا قول نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)[3] ، وحينما يتطرق الحديث عن واجبات الزوج ينصرف غالباً إلى الواجبات المادية دون تطرق إلى الحقوق المعنوية مع أن الحقوق المعنوية لها أثر كبير في استمرار الحياة الزوجية، ومن هذه الواجبات مايأتي:

ا - إظهار المشاعر ، ومن ذلك :

أ - كلمات الغزل والإطراء :

الأذن تعشق قبل العين أحياناً ، والمرأة بفطرتها تحب أن تسمع كلمات الغزل والمديح من زوجها وربما كان وقعها في نفسها أفضل بكثير من أي عطاء مادي فتدليل المرأة يسهل تسييسها، وربما تعلل البعض بأن المشاعر لا تحتاج إلى إظهار بالكلام ، ولكن الحقيقة أن الهمسات لها سحرها على عقل الزوجة وقلبها، ولقد أدبنا الإسلام فعلمنا أن نقدم الشكر للناس لما يقدمونه لنا من صنيع ومن لم يشكر الناس لا يشكر الله فليشكر الزوج زوجته إذا أعدت له طعامه وشرابه، أو نظفت له ملبسه فرب كلمة حانية من الرجل لزوجته خففت عنها ما تكبدته من تعب

---

(١) الشبكة الإسلامية، الأسرة السعيدة ، د. مصطفى السباعي.

(٢) سورة النساء : الآية (١٩)

(٣) رواه الترمذي ، وقال هذا حديث حسن غريب صحيح ، كتاب المناقب.

وإرهاق ، إن كلمة واحدة تستطيع أن تفعل شيئاً كبيراً إن الكلمة الطيبة أساس متين تبنى عليه علاقات الحب والمودة والرحمة والإنتاج والتربية. إن الكلمة الطيبة تهيئ المناخ المناسب لنمو هذه العلاقات ولتثمر الثمرة المرجوة سعادة وفرحاً وابتهاجاً وانطلاقاً وتحقيقاً لكثير من معاني الخير وإن الكلمة الطيبة أغلى في كثير من الأحيان من الحلي الثمين والثوب الفاخر الجديد ذلك لأن العاطفة المحبة التي تبثها الكلمة الطيبة غذاء للروح فكما أنه لا حياة للبدن بدون طعام ، فكذلك لا حياة للروح بلا كلام حلو لطيف، لماذا نهمل الكلمة الطيِّبة في نطاق الأسرة ، وهي لا تكلفنا شيئاً؟! إن السعادة كلها ربما كانت كامنة في كلمة فيها مجاملة ومؤانسة يقولها أحد الزوجين لصاحبه. .وإن الخطأ الذي يقوم في حياتنا الزوجية مبني على فهم خاطئ لفكرة رفع الكلفة حتى إن كثيراً من الناس ليقع في الأغلاط المدمرة لحياته الأسرية بحجة رفع الكلفة . . وإن تجاهل حاجة الزوجة إلى العاطفة العذبة التي تفيض بها الكلمة الطيبة يجعلها تحمل بين جوانبها حجراً مكان القلب، مما يعكر على الزوج حياته لأننا نعيش بالمعاني لا بالأجساد فقط ، وليس في الحجارة من المعاني شيئاً إن ربتة كتف حانية من الزوج مع ابتسامة مشرقة مقرونة بكلمة طيبة تذيب تعب الزوجة وتنعش فؤادها المشرئب للعطف والحنان[1] .

إن صمت الأزواج -كما يقول الخبراء- يبعث على المشاعر اليأس لدى كثير من السيدات ، كما أنه يستثير الرجل ويزعجه بصورة كبيرة، ويترتب على الصمت الذي تغرق فيه العلاقة الزوجية حدوث أزمة حقيقة يترتب عليها مشاكل صحية، ويبدو أن الظاهرة أصبحت شبه عالمية ؛ ففي تقرير لمجلة «بونته» الألمانية توضح الإحصائيات أن تسعاً من كل عشر سيدات يعانين من صمت الأزواج، وانعدام المشاعر بين الأزواج المرتبطين منذ أكثر من خمس سنوات، وتشير الأرقام إلى أن (٧٩٪) من حالات الانفصال تكون بسب معاناة المرأة من انعدام المشاعر، وعدم تعبير الزوج

(١) راجع عودة الحجاب، جمع وترتيب محمد أحمد إسماعيل المقدم، ص٤١٦: ٤١٨.

عن عواطفه لها، وعدم وجود حوار يربط بينهما[1] .

ب - تقديم الهدايا :

الهدايا لها أثر عظيم في تآلف القلوب ، وقد حثنا عليها النبي - صلى الله عليه وسلم- فقال: (تهادوا تحابوا)[2] وليس شرطاً في الهدية أن تكون غالية الثمن فالإنفاق يكون على حسب الأحوال المادية ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾[3] وقد تحدث وردة بثمن زهيد يهديها الزوج لزوجته أثراً عميقاً في ترطيب المشاعر وإرواء العواطف فتبادل الهدايا حتى وإن كانت رمزية ، فوردة توضع على مخدة الفراش قبل النوم ، لها سحرها العجيب ، وبطاقة صغيرة ملونة كتب عليها كلمة جميلة لها أثرها الفعال ، والرجل حين يدفع ثمن الهدية، فإنه يسترد هذا الثمن إشراقاً في وجه زوجته، وابتسامة حلوة على شفيتها، وكلمة ثناء على حسن اختيارها، ورقة وبهجة تشيع في أرجاء البيت، وعلى الزوجة أن تحرص على إهداء زوجها أيضاً.[4]

٢ - التلطف والمؤانسة

المرأة كائن لطيف تحتاج إلى تلطف فبه تطيب قلوب النساء ويغشاهن السرور والحبور ويأنسن بالزوج ويسعدن بقربه ولذا حثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على العناية بها، فقال:(استوصوا بالنساء خيراً)[5] ولا بد من وجود مساحة من اللهو البرئ بين الزوجين ، يقول الدكتور

---

(١) خالد أبو بكر، حديث عن الصمت الزواجي ، إسلام أون لاين ، حواء وآدم ٢/١١/ ٢٠٠٢م.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم ٥٩٤.

(٣) سورة الطلاق : الآية (٧)

(٤) الشيخ إبراهيم الدرويش ، عشر وسائل لتنمية الحب بين الزوجين ، مجلة الفرحة ، العدد ١٥ ديسمبر ٢٠٠٠م.

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

مصطفى السباعي :ومن حق الزوجة على زوجها أن ينبسط معها في البيت، فيهش للقائها، ويستمع إلى حديثها، ويمازحها ويداعبها تطييباً لقلبها، وإيناساً لها في وحدتها وإشعاراً لها بمكانتها من نفسه ، وقربها من قلبه . . وقد يظن بعض الجاهلين المتزمتين أن مداعبة الزوجة ومازحتها مما يتنافى مع الورع ، أو الوقار ، أو الهيبة التي يجب أن تستشعرها الزوجة نحو زوجها ، وهذا خطأ فاحش ، ودليل على غلظ الطبع وقسوة القلب وجهل بالشريعة ، وقد كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم - وهو العابد الخاشع، والقائد الحاكم - من أفكه الناس مع زوجاته، وأحسنهم خلقاً، كان يمزح معهن بما يدخل السرور إلى قلوبهن، ويقص لهن القصص، ويستمع إلى قصصهن . . ومن المعروف في سيرته عليه السلام أنه كان يسابق عائشة رضي الله عنها، وكان يريها اللعب في باحة المسجد فيضع كفه على الباب، ويمد يده وتضع وجهها على كتفه، ومن هنا قال عليه السلام: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله)[1] ، وكان مما يقول عمر، وهو القوي الشديد، الجاد في حكمه، المرهوب في سطوته: ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي -أي في الأنس والبشر والسهولة- فإذا كان في القوم وُجد رجلاً [2]. ومن ملاطفته -صلى الله عليه وسلم- ما أوردته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إني لأعلم إذا كنت عني راضية،وإذا كنت عليَّ غضبى قالت فقلت من أين تعرف ذلك فقال أما إذا كنت عني كنت راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا كنت علي غضبى قلت لا لا ورب إبراهيم، قالت قلت: «أجل والله يارسول الله ما أهجر إلا اسمك»[3] قال الطيبي: هذا الحصر لطيف جداً لأنها أخبرت أنها إذا

---

(١) رواه الترمذي ، وقال هذا حديث صحيح ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه.

(٢) الشبكة الإسلامية ، الأسرة السعيدة ، د. مصطفى السباعي.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب غيرة النساء ووجدهن.

كانت في حال الغضب الذي يسلب العاقل اختياره لا تتغير عن المحبة المستقرة فهو كما قيل:

إني لأمنحك الصدود وإنني قسماً إليك مع الصدود أميل [1]

ويؤخذ من هذا الحديث: استقراء الرجل حال المرأة من فعلها وقولها فيما يتعلق بالميل إليه وعدمه والحكم بما تقتضيه القرائن في ذلك لأنه جزم وحكم برضاء عائشة وغضبها بمجرد ذكرها لاسمه وسكوتها فبنى على تغير الحالتين من الذكر والسكوت تغير الحالتين من الرضاء والغضب [2]. ثم هذا المشهد الرائع للزوج النبي -صلى الله عليه وسلم- وكيف وصل حسن تعامله مع زوجته إلى أن يضع ركبته لتصعد عليها زوجته لتركب البعير: «عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قَدِمَ النبي خيبر، فلما فتح الله عليه الحصن، ثم خرجنا إلى المدينة، قال: فرأيت رسول الله يُحَوِّي لها (أي لصفية) وراءه بعباءة ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته فتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب» [3].

ومشهد آخر أخبرت عنه السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- بحريرة طبختها فقلت لسودة والنبي بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي كلي أو لألطخن وجهك، فأبت فوضعت يدي فيها فطليت وجهها فضحك وأرخى فخذه لسودة وقال: ألطخي وجهها فلطخت وجهي وضحك النبي صلى الله عليه وسلم. [4]

الحب هو أساس كل علاقة بين اثنين فيبدأ الزوجان علاقتهما الزوجية بقوة في المشاعر والعواطف تجعل جميع الهموم والمسئوليات خلف ظهريهما فإذا انشغلا في الحياة، ولم يعطيا لنفسيهما الوقت الكافي

---

(١) فتح الباري، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن.

(٢) عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري، ج٥ ص٦٠٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع.

(٤) السيرة الحلبية (٣/ ٤٣٤)

للحديث معاً واللعب معاً تبدأ المسئوليات التي تبنى الحاجز بينهما حتى يكتشفا بعد ذلك أنهما في علاقة متوترة فلابد أن يبذل الزوجان الأسباب لتحقيق المحبة بينهما، وذلك من خلال اهتمام كل طرف بمشاعر الآخر وعدم إهماله وكثرة الجلوس معه والحديث إليه والمداعبة له والتعبير عما في نفس كل منهما من مشاعر تجاه الأخر[1]. ولا شك أن إهمال الزوج لزوجته وعدم استجابته لمشاعرها، وعدم ملاطفتها واعتبار ذلك علامة ضعف في رجولته أو عبوسه في وجهها وصرامته في التعامل مع زوجته وأولاده مما يقيم حاجزاً بينهما وحالة من الترهل والنفور والملل لدى الزوجة وينفرها من زوجها[2].

وهنا نتذكر قول عمر-رضي الله عنه- ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي ، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلاً[3] ، فالرجل يقبل دلال زوجته عليه وبدون الدلال تبدو الحياة الزوجية جافة قاسية يكون تعامل الزوجين فيها كتعامل العاملين في مناجم الذهب أو مصانع الحديد يتحدثون بصوت مرتفع وبأوامر تنفيذية لا تشتم منها رائحة العاطفة ولا تذوق فيها طعم المودة والرحمة[4].

٣ - صيانة كرامتها

التشريع الإسلامي يحفظ للمرأة كرامتها في بيت زوجها ومن ذلك:

(أ) - لا يؤنبها بسب أو كلام جارح

فعورات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

المسلم ليس بفحاش ولا طعان ولا بذئ ، هذا خلقه في معاملته

---

(١) جاسم محمد المطوع ، الحروف الأبجدية في السعادة الزوجية، ص١٥، مكتبة المنار ، الكويت، ط٢/١٩٩٨م.

(٢) الشبكة الإسلامية(الملل قنبلة موقوته في عش الحياة الزوجية) تحقيق إحسان سيد.

(٣) إحياء علوم الدين (٢/ ٤٣)

(٤) جاسم المطوع، الحروف الأبجدية في السعادة الزوجية، ص١٩.

للناس، ومن باب أولى أن يكون هذا خلقه في بيته مع زوجته فلا يسبها، أو يجرح كرامتها، وخاصة أمام أحد من الناس ولا حتى أولاده ومن أخلاق المسلم أنه ليس بفحاش ولا بذئ ولئن كان هذا خلقه مع الناس عامة فأولى بذلك زوجته وأهله.

(ب) - حفظ سرها

الرجل وزوجته كلاهما لباس لصاحبه ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾[1] فلا يجوز لأي منهما أن يفضح سر الآخر حفاظاً على المودة وحفاظاً على مناخ الأسرة ليبقى ندياً عطراً فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها)[2]

يا لعظمة الإسلام وهو يحوط المرأة بسياج من الستر يحفظ عليها ماء وجهها ويخفي عن الناس بعض خصائصها التي تتحلى بها مع شدة وقارها وحبها لزوجها، فإذا ما فضحها زوجها قد تضيع منزلتها عند معارفها وتتقزز هي فيما بعد إن أرادت أن تمارس تلك الخصائص وقد أحب الإسلام أن تبقى للمرأة خصائصها السرية سراً لا يجوز للرجل أن يذيعه ليبقى لها كبرياؤها ولتحتفظ بأنوثتها كما هي مياسة بعيداً عن سمع الناس وخواطرهم[3].

(ج) - عدم إحراجها بالدخول الفاجئ عليها

من آداب الإسلام الاستئذان عند دخول بيوت الآخرين ، وكذلك من الآداب أن يعلم الرجل أهله بدخوله إلى البيت لئلا يفاجئوا بدخوله ، فقد تكون المرأة على حالة لا تحب لزوجها أن يراها فيها.

---

(١) سورة البقرة: الآية (١٨٧)

(٢) صحيح مسلم، كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة.

(٣) د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدها المدني (١٨٢).

وكذلك إذا كان مسافراً لا يفاجئها بعودته وقد ورد في ذلك أحاديث متعددة، فعن أنس -رضي الله عنه- قال: كان النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يطرق أهله كان لا يدخل إلا غدوة أو عشية[1] ؛ وعن جابر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (إذا قدم أحدكم ليلاً فلا يأتين أهله طروقاً حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة)[2] ، وعن جابر أيضاً قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (وإذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً)[3] يقول الحافظ ابن حجر: يقع للذي يهجم بعد طول الغيبة غالباً ما يكره ، إما أن يجد أهله على غير أهبة من التنظف والتزين المطلوب من المرأة فيكون ذلك سبب النفرة بينهما ، وقد أشار إلى ذلك في حديث الباب الذي بعده بقوله كي تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة ويؤخذ منه كراهية مباشرة المرأة في الحالة التي تكون فيها غير متنظفة لئلاً يطلع منها على ما يكون سبباً لنفرته منها، وإما أن يجدها على حالة غير مرضية . . ويقول أيضاً: وفي الحديث الحث على التواد والتحاب خصوصاً بين الزوجين لأن الشارع راعى ذلك بين الزوجين مع اطلاع كل منهما على ما جرت العادة بستره حتى إن كل واحد منهما لا يخفى عليه من عيوب الآخر شيء في الغالب ومع ذلك فنهى عن الطروق لئلاً يطلع على ما تنفر نفسه عنه[4] .

وهكذا يضمن الإسلام للمرأة حياة طبيعية في الحفاظ على مشاعرها واستمرار وجودها على المستوى النقي الصافي في مشاعر زوجها، فلم يسمح له أن يفاجئها، أو أن تنكشف له بعض هناتها عندما تترك زينتها لغيابه. فيا ربما بقي في عصب مشاعره منظر كئيب قد يعكر على حديقة

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحج، باب الدخول بالعشي.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب كراهية الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة.

(٤) فتح الباري ، كتاب النكاح ، باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة ، (٩/ ٣٤٠ ، ٣٤١).

الحب مثلما تعكر سحابة الربيع جنة الأحباب بغيمها الداكن[1].

٤ - الإشباع الغريزي

أن ممارسة الزوجين للغريزة الجنسية واستمتاع كل منهما بالآخر ليس أمراً مشروعاً فحسب ، ولكنه عمل يبتغي به المسلم أجراً من الله تعالى، حيث يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: (وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يارسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؛ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)[2] . وقد اهتم فقاؤنا بهذا الأمر سئل الإمام أحمد رحمه الله: أيؤجر الرجل أن يأتي أهله وليس له شهوة؟ فقال: إي والله ، يحتسب الولد ، وإن لم يرد الولد قال: هذه امرأة شابة، لم لا يؤجر[3]؟ يقول صاحب منار السبيل: ويسن أن يلاعبها قبل الجماع لتنهض شهوتها وتنال من لذة الجماع مثل ما يناله[4] ، ويقول ابن الحاج: وينبغي له إذا قضى وطره أن لا يعجل بالقيام، لأن ذلك مما يشوش عليها بل يبقى هنيهة حتى يعلم أنها قد انقضت حاجتها، والمقصود مراعاة أمرها، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يوصي عليهن ، ويحض على الإحسان إليهن، وهذا موضع لا يمكن الإحسان إليها من غيره فليجتهد في ذلك جهده، والله المسئول في التجاوز عما يعجز المرء عنه[5] ، ويقول الإمام الغزالي[6]: إذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضاً نهمتها، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها، ثم القعود عنها إيذاء لها والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال والتوافق في

---

(١) د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (١٨٤).

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ،

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٤) راجع المغني لابن قدامة (٧/ ٣١)

(٥) منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام أحمد(٢/ ٢١٨) المكتب الإسلامي.

(٦) ابن الحاج ، المدخل ، فصل في أدب الجماع.

وقت الإنزال ألذ عندها ليشتغل الرجل بنفسه عنها فإنها ربما تستحي[1].

يقول صاحب المغني : ويستحب أن يلاعب امرأته قبل الجماع؛ لتنهض شهوتها، فتنال من لذة الجماع مثل ما ناله. وقد روي عن عمر بن عبدالعزيز، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: لا تواقعها إلا وقد أتاها من الشهوة مثل ما أتاك ، لكي لا تسبقها بالفراغ . قلت: وذلك إلي؟ قال: نعم ، إنك تقبلها وتغمزها، وتلمزها، فإذا رأيت أنه قد جاءها مثل ما جاءك، واقعت. فإن فرغ قبلها، كره له النزع حتى تفرغ؛ لما روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جامع الرجل أهله فليصدقها، ثم إذا قضى حاجته، فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها، لأن في ذلك ضرراً عليها، ومنعاً لها من قضاء شهوتها[2].

هذا الاهتمام الذي اهتم به علماء الفقه في هذا الموضوع يدل دلالة واضحة على مدى عناية التشريع الإسلامي بحث الرجل على إشباع رغبات الزوجة لأن ذلك مما لاشك فيه يؤثر إيجاباً وسلباً على مشاعر المرأة.

٥ - الغيرة عليها

الغيرة ظاهرة صحية إذا كانت في حدودها ، فعن المغيرة -رضي الله عنه- قال: قال : سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أتعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ،ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ومن أجل ذلك وعد الله الجنة[3].

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٤٨ ، ٤٩).

(٢) ابن قدامة ، المغني (٢/ ٢)

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شخص أغير من الله.

وإن من حب الرجل لزوجته أن يغار عليها ويحفظها من كل ما يلم بها من أذى في نظرة أو كلمة والزوجة أعظم ما يكنزه المرء فلا يليق به أن يجعلها مضغة في الأفواه تلوكها الألسنة وتتقحمها الأعين وتجرحها الأفكار والخواطر ؛ كلا . إن الغيرة أخص صفات الرجل الشهم الكريم وإن تمكنها منه يدل دلالة فعلية على رسوخه في مقام الرجولة الحقة الشريفة وكان كرام الرجال وأفذاذ الشجعان يمتدحون بالغيرة على نسائهم وإن من شر صفات السوء ضعف الغيرة وموت النخوة ولا يركن إلى ذلك إلا الأرزلون.

وليست الغيرة تعني سوء الظن بالمرأة والتفتيش عنها وراء كل جريمة دون ريبة ومتى ما تحين الرجل الفرص ليأخذ امرأته على غرة التماساً لعثرة منها بدون أي ريبة كانت هذه غيرة مذمومة فعنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله فأما التي يحبها الله فالغيرة في الريبة ، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير ريبة) [1] إن الرجل هو صاحب القوامة والمسؤول الأول في الأسرة والمحافظ على أفرادها وهو أبعد أهله نظراً وتبصراً في العواقب ، فمن حقه أن يغار عليها. [2]

ومن حقوق الزوجة أن يغار الزوج عليها ، فلا يعرضها للشبهة ، ولا يتساهل معها في كل ما يؤذي شرف الأسرة، أو يعرضها لألسنة السوء، والتساهل في هذا قبيح لا يعد من مكارم الأخلاق في شيء ، ولا يعد من إكرام المرأة أو احترامها لما يجره هذا التسامح من شقاءٍ لها ولزوجها وأولادها، وما زال الناس في مختلف البيئات تتأثر سمعتهم وكرامتهم بسلوك الزوجات ، فمن أغضى عن زوجته - وهو يرى أن يسمع عنها ما يشين -فقد أخرج نفسه من زمرة الرجال الذين لهم حرمة

---

(١) سنن أبي داود ، باب في الخيلاء في الحرب ، صححه الألباني، الإرواء ، ١٩٩٩.

(٢) عودة الحجاب (٢/ ٣٨٨ ، ٣٨٩)

في النفوس ومنزلة عند الله [1].

والغيرة المحمودة هي التي تكون في موضع الريبة، أما إذا لم تكن في موضع الريبة فهي غيرة مذمومة شرعاً فالرجل لا يتجسس على أهله ، أو يتخونهم ، والغيرة المبغوضة جوهرها وسواس أو مرض نفسي مثل حب التملك والسيطرة أو ضعف الثقة في النفس ، فتدفع الغيرة صاحبها إلى محاصرة الطرف الآخر ، وإن الإسراف في الغيرة غير الطبيعية يدمر العلاقة الزوجية ، ويخنق الحب والحنان والدفء ، ولا يمكن لحياة زوجية صحيحة قوية أن تنمو وتسعد في جو من عدم الثقة والشكوك المستمرة.

والمرأة الصالحة تراعي غيرة زوجها فتبتعد عن كل ما يؤدي إلى تأجج نار الغيرة ، ولقد كان الزبير -رضي الله عنه- رجلاً شديد الغيرة ، وكانت تعلم بذلك زوجته السيدة أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها وعن أبيها- وتبين حرصها على مراعاة غيرة زوجها في موقفين: الأول عدم ركوبها خلف النبي -صلى الله عليه وسلم- مع إرهاقها من حمل النوى على رأسها [2] ، والثاني عدم سماحها للرجل ليبيع في ظل دارها [3] وكل ذلك لأن زوجها الزبير كان رجلاً غيوراً.

٦ - الصبر والاحتمال :

لقد حثنا النبي صلى الله عليه وسلم - على الوصية بالمرأة خيراً والصبر عليها ، حيث يقول:(استوصوا بالنساء خيراً) فعن عبد الله بن الزبير عن عائشة أنها قالت : وكان متاعي فيه خف، وكان على جمل ناج، وكان متاع صفية فيه ثقل ، وكان على جمل ثقال بطئ يتبطأ بالركب ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم حولوا متاع عائشة على جمل صفية ، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة حتى يمضي الركب.

(١) د. مصطفى السباعي ، الشبكة الإسلامية ، الأسرة السعيدة.

(٢) انظر: صحيح مسلم، باب السلام، كتاب جواز إرداف المرأة الأجنبية إذا عيت في الطريق.

(٣) انظر: صحيح مسلم ، باب السلام ، كتاب صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الغيرة.

قالت عائشة فلما رأيت ذلك قلت: يا لعباد الله! غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله، قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم عبد الله إن متاعك كان فيه خف ، وكان متاع صفية فيه ثقل فأبطأ بالركب فحولنا متاعها على بعيرك وحولنا متاعك على بعيرها ، قالت : فقلت ألست تزعم إنك رسول الله، قالت : فتبسم قال: أو في شك أنت يا أم عبدالله؟ قالت: قلت : ألست تزعم إنك رسول الله؟ أفهلا عدلت؟ وسمعني أبو بكر ، وكان فيه غرب -أي جدة- فأقبل عليّ فلطم وجهي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلاً يا أبا بكر ، فقال : يارسول الله أما سمعت ما قالت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه [1].

وقال عمر: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ما قسم قال فبينما أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي لو صنعت كذا وكذا ، قال فقلت لها ما لك ولما ها هنا وفيم تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي : عجباً لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله حتى يظل يومه غضبان فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة فقال لها يا بنية إنك لتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان؟ قالت حفصة: والله إنا لنراجعه. [2]

ومن مظاهر صبر النبي صلى الله عليه وسلم على زوجاته: أنه كان يحتمل رفع أصواتهن على صوته . . عن سعد بن أبي وقاص، قال: استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده نساء من قريش (يعني من زوجاته) يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

---

(١) مسند أبو يعلى الموصلي، تابع (مسند عائشة ، رضي الله عنها، حديث رقم ١٠٤٤٠٦)

(٢) راجع الحديث كاملاً في صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب يبتغي مرضات أزواجك.

ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يضحك ، فقال عمر: أضحك الله سنك يارسول الله ، قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ، قال عمر: فأنت يارسول الله كنت أحق أن يهبن ، ثم قال أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجا إلا سلك فجاً غير فجك.[1] وحتى إذا تبدل الحب بالكره وجفت المشاعر في بعض الظروف فينبغي أن يتذكر الرجال قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[2]

يقول الدكتور رءوف شلبي عليه رحمة الله-: هناك راع على الأسرة يديم عليها المعروف كنظام في العشرة ، ذلك الراعي هو فطرة التدين التي تهجس إليه في سويداء قلبه بعد أن أفضى كل منهما إلى الآخر فيأتيه صوت الذكريات يا ربما ما أنت فيه من خير وصحة قد أفاء الله عليك من أجلها فتترطب المشاعر الملتهبة وتعود إلى الحديقة نسمة الصبح الندية لتكون الأسرة المسلمة هي الوردة التي تتدلى بين أوراقها قطرات الندى الصافي بالحب والوئام والعشرة بالمعروف[3].

٧ - مشاورتها فيما يخص الأسرة

الحياة الإسلامية تقوم في كل مراحلها على الشورى فلا مجال لاستبداد والبيت المسلم ينبغي أن تكون الشورى عماداً أساسياً له لقد أمر الله الزوجين بالشورى في إرضاع الوليد عند انفصال الزوجين ، فقال تعالى: ﴿فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾[4]

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك .

(٢) سورة النساء: الآية (١٩).

(٣) د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدها المدني (١٨١).

(٤) سورة البقرة: الآية (٢٣٣)

وهذه الآية تبين حكم المرأة المطلقة وإرضاعها ولدها ، والرغبة في فصاله (فطامه) يقول ابن كثير: «فيؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر، قاله الثوري وغيره وهذا فيه احتياط للطفل وإلزام للنظر في أمره، وهو من رحمة الله بعباده حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما وأرشدهما إلى ما يصلحهما ويصلحه [1] ، فإذا كان هذا هو حق المطلقة في الشورى والتراضي والتفاهم على ما فيه مصلحة الطفل ، فأولى أن يكون حق الزوجة القائمة في البيت على رعاية جميع الشؤون إذا كان هذا هو الحق والزوجان متباعدان متباغضان فأولى بهما ، وهما متقاربان متحابان متعاونان مشتركان في تحقيق المصلحة ، ولا يعقل أن تكون عشرة قائمة على المعروف والإحسان ينفرد بها فرد دون الآخر ، الذي يصبح كأنه العبد المطيع لسيده دون تفكير ، وكم يفقد الرجل المستبد برأيه في بيته الكثير عندما يهمل خبرة وعقل ومشورة زوجته حتى فيما تجيده وتعرف أبعاده كامرأة [2] .

٨ - رعاية حوائجها :

الزوج يرعى زوجته في كل أمورها ، ويقدم مصلحتها على منفعته ورسول الله -صلى الله عليه وسلم - يضرب لنا مثلاً يحتذى في تقديم مصلحة الزوجة فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : جاء رجل إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال يارسول الله إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا وامرأتي حاجة قال ارجع فحج مع امرأتك [3] ، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما ، قال: إنما تغيب عثمان عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانت مريضة ، فقال له النبي -

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧١)

(٢) د. أكرم مرسي ، الأسرة المسلمة في العالم المعاصر ، ص١١٨ ، ١١٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام للناس.

صلى الله عليه وسلم :(إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه).[1] إنه لجميل أن تشعر الزوجة بأن زوجها معها في سفرها أو مرضها أو في حادثة ألمت بها وهذا ما يجعل المشاعر والأحاسيس متوهجة تلقي بظلالها على الحياة الزوجية فتغمرها بالود والحنان.

ثانياً : واجب الزوجة:

حينما يكون الحب قائماً بين الزوجين، يصبح الشعور بالحب قوياً من كلا الطرفين تجاه الآخر ، فالزوجة حينما تكون علاقة حبها قوية مع زوجها، ستطبق جميع الحقوق التي وجبت عليها ، وما هذه الحقوق إلا صورة عملية وإشعار لزوجها بالحب الذي استقر في قلبها ، لهذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:(الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة) [2].

وقد أوصت أم يابانية ابنتها قائلة: ضعي زوجك في قدر من العناية والرعاية ، وأحكمي سد هذا القدر بغطاء من الشفقة والمرح والمشاركة الوجدانية ، ثم ضعيها قريباً من نار الحب الهادئة المستمرة التي لا تتأجج ولا تخبو، وبذلك يجود طبخ محتوياتها وتصبح طبقاً شهياً رائعاً. [3]

وفتور العلاقات الزوجية هو أحد الأسباب التي تعصف بالأسرة وعلاج الفتور هو مسئولية الزوجة أولاً، عليها أن تبحث عن أسباب الفتور في بيتها وتعالجها ، مثل وضع اللمسات الرقيقة في البيت ، وإعادة ترتيبه ، والحرص على جماله وحيويته وبساطته ، والاهتمام بنفسها ومظهرها وأسلوبها في التعامل والاهتمام بزوجها وأدواته الشخصية وملابسه وكتبه وخصوصياته ، والحرص على احترامه وتقديره ، وتشعره دائماً بأنه رب الأسرة الذي يتعب ويجتهد في تحصيل الرزق لأولاده

(١) صحيح البخاري ، كتاب الخمس ، باب إذا بعث الإمام رسولاً في حاجة أو امرأة بالمقام هل يسهم له.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الرضاع ، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

(٣) إسلام أون لاين، الزواج جنة .. كيف؟

ولأهله . . وعلى الزوجة كذلك ألا يكون تعاملها مع زوجها من باب واحد فقط هو أريد كذا وكذا . . الأولاد يحتاجون كذا ، وأنا أحتاج كذا وكذا . . ولكن تكون هناك مداخل أخرى ، مثل تقديم هدية بسيطة في مناسبة ما ، أو إعداد مفاجأة له كل حين من المفاجآت التي تسعده ، وتدخل السرور على قلبه [1]. أما المرأة التي تعكر على زوجها حياته ، وتنغص أيامه فلن يستقر حبها في قلبه .

وعلى حافة طريق الورود الذي تسير فيه الحياة الزوجية يغرس الإسلام للمرأة علامات الواجبات نحو صيانة عشها الوردي الأمين فيفرض عليها من الواجبات نحو زوجها ما يجعل الحياة الزوجية فياضة بالحب والمشاعر المتدفقة ومن هذه الواجبات مايأتي:

(١) حسن السمع والطاعة

المرأة الصالحة هي المرأة الطيعة لزوجها فلا تتمرد عليه (إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت) [2]، (ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله) [3]، ويقول بن الجوزي: لا ينبغي لوالدي المرأة ولا لجميع أهلها أن يطلبوا منها الميل إلى إيثارهم ، فإنها تميل إلى زوجها بالطبع [4].

(٢) إبداء التودد

من واجبات المرأة الصالحة نحو زوجها إبداء الود بالكلمات والهمسات ، فالزوج بحاجة لأن يسمع كلمات الحب من زوجته ، حتى

---

(١) الزوجة مسؤولة عن فتور العلاقة الزوجية ، الشبكة الإسلامية ، ٢٥/١/٢٠٠٢م

(٢) صحيح ابن حبان، كتاب النكاح ، باب معاشر الزوجين.

(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب أفضل النساء ، ضعفه البوصيري ، مصباح الزجاجة (٢/ ٧٠)

(٤) أحكام النساء ، تحقيق د. علي المحمدي (٣٠٣)

ولو كان متأكداً من حبها له فمشاعر الحب تحفظ العلاقة الزوجية دافئة باستمرار ، يقول الدكتور محمد لطفي الصباغ: ربما قالت بعض الزوجات، وماذا يريد الزوج مني؟! ألا يجد طعامه مطهياً وثوبه مكوياً وبيته نظيفاً وأولاده لابسين آكلين وحاجاته مهيأة؟ إنه لا يطلب مني طلباً إلا حققته ، ولايريد حاجة إلا سارعت في تنفيذها . . ماذا يريد مني الزوج أكثر من ذلك؟ كلا ياسيدتي: إنه بحاجة إلى العاطفة التي أنت مصدرها . . إنه بحاجة إلى الابتسامة المشرقة من فيك التي تبدد ظلمات الكآبة التي تعترضه في الحياة، إنه يريد أن يرى الإنسانة التي تعنى به وتظهر له الاهتمام الكبير وتشعره أنه بالنسبة إليها قطب الرحى. وأساس السعادة، إنه يريد أن يسمع باللحن المريح كلمة الشوق والشكر والحب والرغبة في الأنس واللقاء ، إن ذلك كله مفتاح بيت السعادة التي يحويها معنى الزواج .

إن كلمة شكر وامتنان من الزوجة مع ابتسامة عذبة تسديها إلى الزوج بمناسبة شرائه متاعاً للبيت أو ثوباً لها تدخل عليه من السرور الشيء الكثير ، قولي له الكلمة الطيبة ، ولو كان نصيب المجاملة فيها كبيراً لتجدي منه الود والرحمة والتفاهم مما يحقق لك الجو المنعش الجميل رددي بين الفينة والفينة عبارات الإعجاب بمزاياه واذكري له اعتزازك بالزواج منه وأنك ذات حظ عظيم فإن ذلك يرضي رجولته ويزيد تعلقه بك . . قابليه ساعة دخوله بالكلمة الحلوة العذبة وتناولي منه ما يحمل بيديه ، وأنت تلهجين بذكره وانتظارك إياه.[1]

المرأة الشرقية متهمة بما يعرف بثقافة الصمت ، فلا تظهر التودد، ولا تطالب صراحة بالتمتع الغريزي، ويدفعها إلى ذلك حياؤها أو خوفاً من شك الزوج فيها ، حتى كثرت شكاوى الأزواج من نسائهم واتهامهم بالبرود الغريزي وتبلد الود والشعور بالملل ، وهذا الملل أو

(١) د. محمد لطفي الصباغ ، نظرات في الأسرة المسلمة ، نقلاً عن عودة الحجاب ، (٢/ ٤١٨ ، ٤١٩)

الفتور هو الذي يدفع الأزواج في المجتمع الغربي إلى خيانة بعضهم بعضاً ، ويجعل العلاقات الزوجية مختلطة، كل فترة مع صديق أو صديقة ؛ حتى إن بعضهم قد يذكر مائة صديق أو صديقة «عشيق أو عشيقة» له على مدى سني العمر ، وهو السبب الأكبر في انتشار الأمراض الجنسية الخطيرة ، التي تدمر حياة الإنسان والمجتمع ، مثل الإيدز والزهري، وغيرها . . وهي علاقات محرمة بالنسبة لنا كمسلمين ، نرفضها لأن رب العالمين حرّمها ولم يجعلها مشروعة ، لأنه هو الذي خلق الإنسان وهو أعلم بمن خلق[1] .

(٣) احترام مشاعر الزوج

= عدم الإساءة إليه:

المرأة الصالحة لا تسئ لزوجها بالكلام ، ولا بغيره وفاء للجميل واحتراماً للعشرة ومحافظة على مشاعر زوجها حتى ولو أبغضته فإنها لا تصرح بذلك. روي أن ابن أبي عذرة الدؤلي -أيام خلافة عمر رضي الله عنه- كان يخلع النساء اللائي يتزوج بهن فصارت له في النساء في ذلك أحدوثة يكرهها ، فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله ، ثم قال لامرأته: أنشدك بالله هل تبغضينني؟ قالت : لا تنشدني بالله، قال: فإني أنشدك بالله ، قالت: نعم ، فقال لابن الأرقم: أتسمع؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر -رضي الله عنه- فقال: إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن، فاسأل ابن الأرقم، فسأله فأخبره، فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها فقال: أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أول من تاب وراجع أمر الله إنه ناشدني فتحرجت أن أكذب. أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم فاكذبي ، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا ، فلا تحدثه بذلك ، فإن أقل البيوت الذي

---

(١) د. عمر صالح فروانه: حتى لا يتسرب الملل ، حواء وآدم ، إسلام أون لاين.

يبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب.[1]

= شكر الصنيع :

ما أجمل كلمات الشكر في الحياة الزوجية إنها دليل على دماثة الخلق ، وجمال الطبع، إنها تأخذ بلب الرجل فتجعله يفعل المزيد من التفضل والإحسان مما يضفي على الحياة بهجة ويدفع بها إلى الأمام ، وإن نكران الجميل سبب للجفاء ومثبط للهمهم. وكفران المعروف من الزوجة لزوجها مورث لغضب الله ، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه)[2] وعن أسماء بنت زيد الأنصارية رضي الله عنها، قالت : (مر بي النبي -صلى الله عليه وسلم وأنا في جوار أتراب لي فسلم علينا وقال إياكن وكفر المنعمين ، فقلت: يارسول الله وما كفر المنعمين؟ قال: لعل إحداكن تطول أيمتها من أبويها ثم يرزقها الله زوجاً ويرزقها منه ولداً فتغضب الغضبة فتكفر فتقول: ما رأيت منك خيراً قط)[3] وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: يامعشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقلن ، ولم ذلك يارسول الله؟ قال : تكثرن اللعن وتكفرن العشير.

= لا تفضل عليه أحداً :

من الأخطاء القاتلة التي تهدم مشاعر الزوج وإشعاره بالنقص ، وذلك بأن تتحدث المرأة بإطراء عن رجل آخر ، وأنه يفعل كذا ويقدم لزوجته كذا ، وكأنها تعقد مقارنة تبين من خلالها عجز زوجها.

= لا تصف صاحبتها له :

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-(لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها

---

(١) انظر: البغوي، شرح السنة (١٣/ ١٢٠)

(٢) رواه النسائي والبزار وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، رقم (٢٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٤٨).

لزوجها كأنه ينظر إليها)[1]، يقول ابن الجوزي: واعلم أنه نهى عن هذا لأن الرجل إذا سمع وصف المرأة تحركت همته واشتغل قلبه والنفس مولعة بطلب الموصوف بالحسن فربما كانت الصفة داعية إلى تطلب الموصوف وربما وقع من اللهج بالطلب لذلك ما يقارن العشق.[2]

أقول ومن الاحترام لمشاعر الرجل جاء النهي عن وصف المرأة للمرأة الأجنبية وصفاً دقيقاً لزوجها كأنه ينظر إليها، وذلك حتى لا يعقد مقارنة بينها وبين زوجته فربما تتأذى مشاعره ، لأن زوجته ليست على قدر الأوصاف التي يسمعها فيتعكر ماء الحب بين الزوجين.

= عدم التذمر :

التذمر المستمر من الزوجة يدفع الزوج للملل واليأس من رضاها، وينصرف عنها ، ليرتاح من سماع شكواها المستمر بعد أن يدرك أن منحها السعادة شيئاً مستحيلاً.

= لا تخرج وهو كاره :

احتراماً لمشاعر الزوج لا تخرج الزوجة إلا بإذنه فهي تجب عليها طاعته فهو صاحب القوامة.

(٤) التزين للزوج

النظافة للمرأة ألزم لها من الجمال لأن الجمال لا يلبث أن يزول متى زالت نضارة الشباب ، أما النظافة فعادة باقية ما بقيت المرأة . . ولا شك أن المرأة التي تهمل نظافة نفسها تعمل على إبعاد زوجها بيدها ليرتمي في أحضان أخرى نظيفة، وما أجمل ما أوصت به المرأة العربية ابنتها حيث قالت لها: يابنيتي لا تنسي نظافة بدنك فإن نظافته تحبب زوجك إليك ونظافة بيتك تشرح صدرك وتصلح مزاجك وتنير وجهك وتجعلك جميلة ومحبوبة ومكرمة عند زوجك ومشكورة من أهلك ومن ذويك وأترابك

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا تباشر المرأة المرأة لزوجها.

(٢) ابن الجوزي ، أحكام النساء، تحقيق د. علي المحمدي، ص٢٨٣.

وزائريك وكل من يراك نظيفة الجسم والبيت تطيب نفسه ويسر خاطره. وجمال المرأة وتجملها مدرجة ميل الزوج وافتتانه بها.[1] ولذا وجب على الزوجة ما يأتي :

(أ) إبداء الزينة للزوج:

الزوجة الفاهمة الواعية هي التي تبدي زينتها لزوجها فالحياة الزوجية معاشرة بالمعروف عن رضا من كل من الطرفين ومقتضى هذا المعروف أن تكون مفاتن المرأة لزوجها إنها إن استبقت مفاتنها لزوجها فقط فقد ادخرت لها وله عمراً طويلاً في مباهج السعادة الزوجية ، أما إذا بذلت مفاتنها للمجتمع للرائح والغادي ، فقد فتنت قلوب الرجال مطلقاً وأول الرجال زوجها. . وصارت النسب في تفاوت المحاسن مشتهى لكل من يهوى وانتقلت اللذة من عشها الوردي الحلال إلى قارعة الطريق كأنها حبات تفاح عطبت وعفا عنها ذوو الذوق الكريم ، فصارت نهباً لكل الذباب ، ومن هنا ترتسم اللوحة الفنية لزينة المرأة لتبقى بهجة السعادة مستمرة في عش الزوجية الهنيئ[2].

(ب) التغيير في الملبس والمكياج وتسريحة الشعر:

فلابد أن تجيد الزوجة فنّ التغيير ، التغيير في الملبس ،والتغيير في المكياج ، والتغيير في تسريحة الشعر ، والتغيير في العطور . نعم عند الزوجة ملابس مناسبة، وعطور جيدة وشعر جميل ، ولكن هذا لا يُغني؛ إذ أن التغيير مطلوب في حدّ ذاته ، فهو من البهارات -إن صح التعبير- اللازمة لتغيير نمط العلاقة الزوجية ،ومن الأسف أن ترى كثيرات من السيدات يهملن الزينة والتجمل في كثير من حياتهن الزوجية ، وهذا تقصير فاحش ربما كانت الزوجة لا تشعر به لاعتقادها ارتفاع الكلفة بينهما، ولكن له تأثيراً سيئاً في نفس زوجها ولا سيما إذا أنس منها

---

(١) انظر: آداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة ، ص١٩٢ ، ١٩٣.

(٢) د. رؤوف شلبي ، الدعوة الإسلامية في عهدها المدني ، ص١٨٦ ، ١٨٧

التجمل والزينة قبيل خروجها لزيارة قريباتها وصديقاتها والحقيقة أن التجمل لا يكون إلا للزوج تطبيقاً لخاطره وهو واجب عليها وحق له لا يسقط وإن مضى الشطر الأعظم من الحياة ، وليس القصد من حض المرأة على التجمل لبعلها أن تضيع وقتها الثمين أمام المرآة معجبة بجمال صورتها، أو بطول شعرها، أو باعتدال قوامها، فإن الإعجاب بالنفس دليل على ضعف العقل ، وإنما القصد حثها على النظافة والترتيب ، وهو يتناول تسوية الشعر وتنسيق الملابس على وجه خال من آثار التصنع والتكلف ومن أرقى خلال المرأة إذا أحست بحضور زوجها فهبت للقائه بأبهى مظاهرها من نظافة ثياب وطلاقة وجه وبسامة ثغر لأنه ما من امرأة قابلت زوجها على هذا الوجه إلا حازت في قلبه المكانة العالية والمنزلة السامية.[1]

(٥) الوفاء وعدم التمرد

وفاء للجميل واحتراماً للعشرة لا تتمرد الزوجة على زوجها إذا طلبها للفراش يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- (إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها باتت تلعنها الملائكة)[2] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ، قال: (إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح)[3] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها) [4] ، ويفهم من هذه النصوص أن الزوجة لا تتأبى على زوجها فتتمنع تكبراً وتعالياً عليه أو تتمنع للاستنزاف المادي وقضاء الحوائج ، أما إذا كان رفضها لمرض أصابها ، أو إعياء ألم بها فإن رحمة

---

(١) آداب الحياة الزوجية، في ضوء الكتاب والسنة ، ص١٩١ ، ١٩٢.

(٢) مسند أحمد : باقي مسند المكثرين - مسند أبي هريرة.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها.

(٤) صحيح مسلم ، كتاب النكاح.

الله أكبر من أن تصيبها اللعنة ، تقول الدكتورة عبلة الكحلاوي : نحن نفهم أن الزوجة التي يطلبها زوجها إلى فراشه وتتمنع تلعنها الملائكة . . وهذا صحيح، ولكن ماذا لو كانت مريضة ، أو لديها ظرف طارئ كوفاة أب أو أم ، فهل تكون في هذه الأحوال ملعونة ؟! ، بالطبع لا . وإلا فنحن نظلم أنفسنا فتقدير الزوج واجب ومراعاته مشاعر زوجته أمر لا غنى عنه[1] .

ويلاحظ في الأحاديث الشريفة التي تحدثت عن تمنع المرأة أن الأحكام فيها متروك تنفيذها للخوف من الله والرعب من عقابه وغضبه، وهذا يعطينا فهماً دقيقاً أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو صاحب حق في التقنين والتشريع لم يضع عقاباً ولا جزاء لمخالف هذه الأحكام ، فإن الأسرة لا تقوم أحكام تنظيمها إلا على أساس من الخلق ورقابة الله جل شأنه فقط.[2] ولضمان استقرار الأسرة جاء النهي عن صوم المرأة نفلاً إلا بإذن زوجها ، فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- (لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه)[3] .

(٦) الغيرة المعتدلة

من حق المرأة أن تغار على زوجها ، وهذه طبيعة في المرأة تستوي فيها المتعلمة والجاهلة فكما أن الرجل يحب أن تكون المرأة خالصة له دون غيره ، فكذلك المرأة تحاول أن تستأثر بزوجها ليكون خالصاً لها من دون النساء ، وتضرب لنا أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها المثل في ذلك ، تقول: (ألا أحدثكم عني وعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قلنا بلى، قال قالت: لما كانت ليلتي التي كان النبي -صلى الله

---

(١) الشبكة الإسلامية ، الأسرة السعيدة، في فقه التعامل بين الزوجين ، تاريخ الزيارة ٢٣/ ١/ ٢٠٠٢م

(٢) د. رؤوف شلبي: الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، ص١٨٨.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه.

عليه وسلم- فيها عندي انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع فلم يلبث إلا ريثما ظن أن قد رقدت فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً، وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت إزاري ثم انطلقت على إثره حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام ، ثم رفع يديه ثلاث مرات ، ثم انحرف فانحرفت فأسرع فأسرعت فهرول فهرولت فأحضر فأحضرت فسبقته فدخلت فليس إلا أن اضطجعت فدخل ، فقال مالك يا عائشة حشيا رابية[1] ، قالت قلت: لاشيء ، قال : لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير ، قالت قلت يارسول الله بأبي أنت وأمي فأخبرته، قال: فأنت السواد الذي رأيت أمامي ، قلت : نعم. فلهدني في صدري لهدة أوجعتني ، ثم قال: أظننت أن يحيف الله عليك ورسوله ، قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله. نعم قال : فإن جبريل أتاني حين رأيت فناداني فأخفاً منك فأجبته فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك وظننت أن قد رقدت فكرهت أن أوقظك وخشيت أن تستوحشي فقال إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم قالت قلت كيف أقول لهم يارسول الله قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون)[2]

وحادثة أخرى تبدو فيها غيرة السيدة عائشة رضي الله عنها(كان النبي صلى الله عليه وسلم عند إحدى أمهات المؤمنين فأرسلت أخرى بقصعة فيها طعام فضربت يد الرسول فسقطت القصعة فانكسرت فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم الكسرتين فضم إحداهما إلى الأخرى فجعل يجمع فيها الطعام ويقول: غارت أمكم كلوا فأكلوا فأمسك حتى جاءت بقصعتها

---

(١) حشيا : بفتح الحاء المهملة وإسكان الشين المعجمة مقصور معناه: وقد وقع عليك الحشا وهو الربو والتهييج الذي يعرض للمسرع في مشيه والمحتد في كلامه من ارتفاع النفس وتواتره. يقال: امرأة حشياء وحشية ورجل حشيان وحشش ، قيل: أصله من أصاب الربو حشاه. وقوله:(رابية) أي مرتفعة البطن (صحيح مسلم بشرح النووي)

(٢) صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها.

التي في بيتها فدفع القصعة الصحيحة إلى الرسول وترك المكسورة في بيت التي كسرتها)[1] وموقف آخر تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإني لم أدركها قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت فأغضبته يوماً فقلت خديجة فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم(إني قد رزقت حبها) [2].

على أنه ينبغي ألا تتجاوز الغيرة حدودها فتصل إلى الشك مما يهدد الحياة الزوجية ويجعلها عرضة للانهيار وينبغي للرجل أن يبتعد عن مواطن الشبه فمسئوليته عن عرضه توجب عليه أن لا يلوث عرضه مع أنثى.

(٧) - المعاونة بالمعروف

* خدمة البيت

الزوجة الصالحة معينة لزوجها ويوم أن تسود علائق المحبة ووشائج القربى بين الزوجين يصبحان نسيجاً واحداً وروحاً واحدة ، تسقط الأنانية ويبذل كل طرف قصارى جهده من أجل إسعاد الطرف الآخر ، فإذا ما انشغل الزوج بطلب المعيشة خارج البيت واستغرق ذلك وقته قامت الزوجة بواجبها نحو بيتها ، فإذا ما كان عنده وقت عاونها في لمسات حانية ترفرف بالسعادة على أرجاء البيت.

والزوجة تقوم بواجبها دون كلل أو ملل ، فهذه السيدة فاطمة رضي الله عنها تقوم بعمل بيتها حتى يصيبها الإرهاق وزوجها المحب علي كرم الله وجهه يشفق عليها ، روى البخاري عن ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى فأتى النبي- صلى الله عليه وسلم- سبي فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة فأخبرتها

---

(١) سنن النسائي-كتاب عشرة النساء ، باب الغيرة، صححه الألباني - الإرواء (١٥٢٣)

(٢) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها-.

فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم- أخبرته عائشة بمجيء فاطمة فجاء النبي -صلى الله عليه وسلم- إلينا ، وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم فقال علي مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري ، وقال ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين ، وتسبحا ثلاثاً وثلاثين، وتحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم.[1]

ومن الخطأ الشائع أن كثيراً من الناس يفرضون عمل البيت على الفتاة، ولا يكلفون الفتى شيئاً ولو اقتدينا بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الجانب لوجدناه مع أنه أفضل الخلق على الإطلاق كان يعاون أهله فعن الأسود قال: سألت عائشة ما كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يصنع في بيته، قالت: كان يكون في مهنة أهله ، تعني: خدمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[2] ، وعن عائشة أنها سئلت ما كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته؟ قالت: ما كان إلا بشراً من البشر، كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه[3].ولذا ينبغي على الرجل أن يعاون زوجته في عمل البيت ، وهذا نوع من المشاركة يؤدي إلى إرواء حديقة الحب ، فتتفتح الزهور وتعم رائحتها الندية أرجاء البيت.

* راتب الزوجة:

من الأمور التي تؤدي إلى خلافات في عش الزوجية وتحول العش الوردي إلى وكر للدبابير طمع الزوج في راتب زوجته ومالها ، ومما هو معلوم أن الإنفاق على البيت من واجبات الزوج وتوضع النفقة في جو

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجماعة والإمامة، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج.

(٣) صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب التواضع والكبر والعجب.

مشبع من الحنان والعطف لا في جو التسلط والعنف ، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (إن الرجل إذا سقى امرأته الماء أجر)[1] ، وأيضاً قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (إنك لن تنفق نفقة إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك)[2] وينبغي أن يتلمس المرء الرزق من عند الله ولا يتعلل بأن دخله لا يفي بحاجيات الأسرة فالإنفاق مرتبط بقول الله تعالى: ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾[3] وفي المقابل ننصح الزوجة الصالحة بألا تبخل على أسرتها ولتعلم أن ما تنفقه من مالها على أسرتها فهو تصدق عليهم تنال به أجراً عند الله فعن زينب زوج عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما قالت كنت في المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال تصدقن ولو من حليكن وكانت زينب تنفق على عبدالله وأيتام في حجرها ، قالت فقالت: لعبد الله سل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتام في حجري من الصدقة ، فقال: سلي أنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي فمر علينا بلال فقلنا سل النبي صلى الله عليه وسلم أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري ، وقلنا لا تخبر بنا فدخل فقال من هما قال زينب قال أي الزيانب قال امرأة عبدالله ، قال: (نعم لها أجران أجر القرابة وأجر الصدقة) [4] ، وفي رواية ابن حبان عن زينب رضي الله عنها قالت : يا نبي الله، إنك أمرتنا اليوم بالصدقة، وكان عندي حلي، فأردت أن

(١) مسند أحمد ، مسند الشاميين عن العرباض بن سارية ضعفه الهيثمي ، مجمع الزوائد(٣/ ١١٩).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الفرائض ، باب ميراث النساء.

(٣) سورة الطلاق: الآية (٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الزكاة ، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر .

أتصدق، فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- (صدق. زوجك وولدك أحق من تصدقت به عليهم)[1]. وبهذا نرفع الخلاف . . الزوج يتعفف ، والمرأة تتصدق.

(٨) كتمان الخلاف داخل نطاق الأسرة

الزوج والزوجة كلاهما نسيج واحد وروح واحدة لهما عالمهما الخاص ، كل منهما يرى من الآخر ما لا يطلع عليه الآباء والأمهات وهما يتقاسمان حلو الحياة ومرها ، وإذا ماهبت رياح على الأسرة وجب عليهما أن يقفا ضد هذه الرياح حفظا للسفينة من الغرق ، وإنه يكاد لا يخلو بيت من منازعات ومشاجرات بسبب سوء تصرف أحد الزوجين أو كلاهما ، ولم يُعرف حتى الآن زوجان عاشا حياتهما دون خلافات ، غير أن الزوجة الذكية هي التي تحرص أن يكون نقاشها مع زوجها ضمن حدود التفاهم والتشاور، دون طغيان شخصية أحدهما على الآخر ، إلى أن يستقر رأيهما على قرار يكون في مصلحة الأسرة ، بدلاً من صرف وقتهما في النكد وتنغيص عيش بعضهما ، فالأسلوب الأمثل والقائم على الحب والتفاهم يؤدي إلى المحبة والمودة ، مما يؤثر تأثيراً إيجابياً على تربية الأبناء واستقرار حياتهم النفسية والعملية. والزوجة الذكية تحرص على أن تكون أسرار أسرتها بمنأى عن الآخرين حتى ولو كانت أمها، فلا يصح أن تشترك أمها في كل صغيرة وكبيرة في شئون المنزل ، وهذا يعتبر سبباً من الأسباب التي تؤدي إلى فشل العلاقة بين الزوج والزوجة[2].

إن الخلاف بين الزوجين يجب أن يبقى داخل نطاقهما ، لأن الخلاف إذا خرج خارج العش الوردي تورم وانتفخ فأهل الزوجة يقفون في صفها، وأهل الزوج كذلك ، ولكن إذا كان بين الزوجين فرب كلمة عتاب تذهبه، أو دمعة حانية تزيله.

---

(١) صحيح ابن حبان، كتاب الحظر والإباحة، باب اللعن.

(٢) منيرة الحميدان ، الزوجة الذكية تحرص على أن تكون أسرار أسرتها بمنأى عن الآخرين، موقع باب.

الخاتمة

نستخلص من الدراسة أن المشاعر الفياضة والأحاسيس المرهفة بين الزوجين أمر مهم لبناء الأسرة السعيدة ، وبالحب الدافئ بين الزوجين تصمد الأسرة في وجه العقبات التي تعترضها فلا تجنح السفينة إلى المهلك.

وإذا فقدت الأسرة الحب ، وجفت المشاعر بين الزوجين حدث الملل والنفور والحقد والكراهية والتفكك مما يهدد البيت ويجعله عرضة للانهيار.

ومما يعين على تدفق ينابيع الحب بين الزوجين حرية الاختيار والتخير الأمثل والقيام بالحقوق التي شرعها الدين الحنيف.

والحقوق التي أوجبها الإسلام إنما هي حقوق متبادلة ، فما من حق إلا يقابله واجب ، وإن كثيراً من المشاكل التي تحدث إنما هي لجهل بهذه الحقوق ، أو لعدم القيام بها.

وأسأل الله القدير أن أكون قد وفقت في معالجة هذا الموضوع ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

أولاً : القرآن الكريم

١ - تفسير ابن كثير
٢ - تفسير القرطبي

ثانياً : القرآن الكريم

١ - صحيح البخاري
٢ - صحيح مسلم
٣ - سنن الترمذي
٤ - سنن ابن ماجة
٥ - سنن النسائي
٦ - سنن أبي داود
٧ - مسند الإمام أحمد
٨ - سنن الدارمي
٩ - الأدب المفرد للبخاري
١٠- مسند أبي يعلى الموصلي
١١- مجمع الزوائد
١٢- فتح الباري
١٣- عون المعبود شرح سنن أبي داود
١٤- عون الباري لحل أدلة صحيح البخاري
١٥- شرح السنة للبغوي

ثالثاً : كتب السيرة النبوية

١ - السيرة النبوية لابن هشام
٢ - السيرة الحلبية
٣ - الوفا بأحوال المصطفى

رابعاً : مصادر متعددة

١ - ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث والأثر
٢ - ابن الجوزي : أحكام النساء ، تحقيق د.علي المحمدي.
٣ - ابن الحاج: المدخل
٤ - ابن قدامة: المغني
٥ - أبوحامد الغزالي: إحياء علوم الدين.
٦ - ابن عبد ربه: العقد الفريد
٧ - إسماعيل أحمد المقدم عودة الحجاب.

٨ - د. أمينة الجابر وآخرون: التفكك الأسري : الأسباب والحلول المقترحة.
٩ - جاسم محمد المطوع الحروف الأبجدية في السعادة الزوجية.
١٠- خالد عبدالرحمن أداب الحياة الزوجية في ضوء الكتاب والسنة.
١١- د. رؤوف شلبي: الدعوة الإسلامية في عهدها المدني.
١٢- د. عبدالحليم أبوشقة: الحب بين الزوجين ، الشبكة الإسلامية.
١٣- د. محمد لطفي الصباغ: نظرات في الأسرة المسلمة.

خامساً : شبكة المعلومات (الإنترنيت)

١ - الشبكة الإسلامية
٢ - الموقع الإسلامي
٣ - الإسلام على الإنترنيت
٤ - موقع باب

سادساً : صحف ومجلات

١ - جريدة الشرق الأوسط
٢ - مجلة الفرحة.